حول الحب

رواية لفرانس العرد

قال الكاتب فوكس العاقل ان الحب عند الناس عبارة عن دعارة ورجس وفساد . ولم يُلق الكاتب هذا الرأي اعتباطاً بل عن اختبار صحيح . يبلغ فوكس خمس سنوات من العمر فهو في ريعان شبابه وقواه العقلية . اشترته صاحبته مدام كريبوت (*Madam Crepot*) جرواً صغيراً وربته بعناية زائدة وعطف وحنان وكثيراً ما اذا كانت منشرحة الصدر تقبل أنفه وعنقه وفي حالة الغضب تضربه بحذائها على بطنه وظهره فكان المسكين يحتمل الحالتين بالصبر والرضى لأن عيشته اجمالا عند سيدته كانت عيشة راضية مرضية . وفي صباح كل يوم ومسائه تقوده الخادمة ايفون البدينة للرياضة خارج المنزل . وكانوا يطعمونه جيداً فلا يبخلون عليه بشيء حتى انهم يطعمونه السمك الذي يزيد عن الضيوف . وكانوا يغسلون جسمه مرة في الاسبوع ويسرحون شعره الابيض الطويل بمشط عريض وكان يتضايق من ذلك كثيراً ولكنه يشعر براحة طول مدة الاسبوع . كان فوكس كلباً عاقلا حسن الاخلاق لا يعض أحداً ولا يسرق شيئاً . ولكن امراً واحداً يغيظه هو ما يراه من الناس من الرياء وفساد الاخلاق والميل الى القصف والفجور والخلاعة وعدم الامانة في الحب وغش بعضهم بعضاً . وكان يقول انه خير من الناس بهذا المعنى حتى اذا حل فصل الربيع الذي تنتعش فيه الاجسام وتميل فيه النفس إلى الحب فانه لا يخرج عن حدود العفة والطهارة ولا يجري وراء الكلبات بل يستسلم للحزن والارق واذا مرت من أمامه كلبة رشيقة فانه يلقي عليها نظرة حادة ويتكهرب فؤاده بكهرباء الحب والغرام ويتمنى تقبيل وجنتيها والتمرغ معها على الارض ومطارحتها الفاظ الوجد والهيام ولكن مدام كريبوت لا تصرح له بالزواج بل تحافظ عليه كل المحافظة . يقول فوكس أن الكلاب يتزوجون مرة واحدة في العام وذلك في فصل الربيع وأما الناس فيتزوجون في

الربيع والصيف والشتاء والخريف ويغشون بعضهم بعضاً ويعيشون بالخداع والرياء . الكلبة تكتفي بزواجها في الربيع فاذا حملت فانها تبتعد عن زوجها وعن جميع الكلاب واذا ولدت فانها ترضع أولادها بنفسها وتربيها وتعلمها الركض ومتى كبرت جراؤها عاشت مستقلة بنفسها فتتزوج أمها مرة ثانية ولكنها اذا بلغت الثامنة أو التاسعة من عمرها فانها تنقطع عن الزواج وتتناسى الحب وتنهمك في حراسة بيت سيدها والمحافظة على اولاده ومقتنياته

وأما الناس فانهم على عكس ذلك : مثلا مدام أليس كريبوت فانها كانت متزوجة من رجل وولدت منه بنتاً فأرسلتها حالا إلى مرضعة في احدى القرى لترضعها حيث ماتت بعد مدة قليلة والكلاب لا تفعل مثل هذا مطلقاً وباليت الأمر وقف عند هذا الحد فان أليس بعد ولادتها بخمسة أشهر تنازعت مع زوجها ورفعت عليه قضية طلاق وقد تمكنت من طلاقه والتزوج من رجل عجوز غني .

ان أليس لم تكن صبية فقد بلغت الثانية والاربعين وليس لها عمل طول النهار سوى الوقوف أمام المرآة وطلي وجهها بالاحمر والابيض ثم تركب السيارة وتخرج للرياضة في الحدائق حيث تجتمع تارة بخليلها أرنست وتارة بخليلها اليكس وطوراً بهنري الخ الخ

ان زوجها بعد تناول طعام الفطور يقصد معمله لادارته حيث يبقى إلى آخر النهار واذا ما دنت الساعة الثالثة ترتدي أليس ملابسها حيث يكون فوكس رابضاً أمامها ينظر اليها . أن فوكس واقف على اسرار النساء فقد مرت عليه سنون عديدة وهو ينظر كيف أن أليس تزجج حاجبيها وتدهن وجهها حتى تغطي أساريره وتضمخ جسمها بالروائح المختلفة وتفرك صدرها وجسمها فركا شديداً حتى تصبح على جانب عظيم من الرواء والبهاء والجمال الكاذب . انظر إلى أليس عندما تستيقظ من النوم تر وجهها أصفر دميما وعينيها غائرتين وانظر اليها الساعة الرابعة بعد الظهر تجدها كالاشخاص المنصوبة في نوافذ المخازن التجارية ثم ترتدي معطفها وقبعتها وقفازيها وتذهب للمقابلة . . .

وهي دائماً تأخذ فوكس معها وتجلسه بجانب السائق ثم تقف السيارة عند احدى الحدائق وتقول للسائق انتظرني هنا ريثما أتريض ولكنها تكذب فانها تخرج من باب الحديقة الثاني وتذهب مع فوكس الى منزل جورج وقبلا كانت تذهب الى منزل خليل آخر وآخر واما الآن فانها تذهب إلى جورج وهو شاب فى الخامسة والعشرين ذو شاربين كبيرين مرفوعين وعينين كعيني القطه السارقة واذا دخلت اليس منزله تخلع معطفها وقبعتها ويساعدها جورج على خلع ملابسها ثم يقبلان بعضهما بشوق ولهفة ويكون فوكس جالساً على كرسي ينظر إلى تلك المناظر المنكرة ويسمع اليس تلقب خليلها بالقاب الحب والغرام وأما هو فلا يقابلها بالمثل بل ينظر اليها نظرات حقد وكراهة وقد قال لها فى الاسبوع الماضي : اني خسرت كل مالي فى نادى الميسر فهل لديك خمسة آلاف

فاحتدم بينهما نزاع شديد فأعطته اليس الفاً ثم خمسمائة غير انه لم يرض بذلك وقال لها : أن محبتك كاذبة واني لا أحبك بعد الآن فدفعت له خمسمائة أخرى وتصالحا على ذلك

وعند ما كانت اليس تحب الفتى اليكس قال لها مرة غاضباً اذا لم تدفعي لي مبلغا وافراً فاني اكتب لزوجك خطاباً بلا توقيع فتكدرت منه ووجهت اليه الفاظ السباب والشتائم فاجابها على ذلك بأن لطمها على وجهها لطمة شديدة فهجم فوكس عليه ليدافع عن سيدته لكن اليكس ضربه بعصا كانت بيده

ان اليس تخاطب كل خليل جديد بألفاظ الغرام والحب وتقول له انها لا تستطيع العيش بدونه فيقابلها الخليل بمثل الفاظها ولكن الحق يقال ان ذلك كله رياء وكذب ونفاق ومع ذلك فالناس يسمون ذلك حباً

أن حب الكلاب أشرف من حب الناس لأن الكلب اذا أحب كلبة يرفع ذيله وأذنيه ويجري وراءها من شارع إلى شارع دون أن يخشى لومة لائم لانه لا يحب غيرها

وأما الناس فمحبتهم سرية ويحاولون أن لا يراهم أحد . فاذا سارت الى خليلها تخدع زوجها وخادمها ونفسها وتكذب وتختلق

والزوج الاحمق المغفل يسمع رواياتها بلذة

تقول له اسمع يازوجي العزيز ! انني اليوم تعبت تعباً شديداً حيث ذهبت إلى الخياطة وقست بذلة المساء وطفت على مخازن البرانيط فلم أجد قبعة تناسبني . ثم تنسى جورج خليلها وتخلع ملابسها وتغسل الادهنة عن وجهها وتنام إلى جانب زوجها . ويسمون ذلك حباً . ولو كانت هذه المرأة من فصيلة الكلاب لمزقتها أنيابها أربا اربا ولكن عند الناس هذا أمر عادي .

كم من مرة اجتمعت اليس بصواحبها وصديقاتها ولا يكون لهن حديث غير اخبار الاخلاء والمحبين وفوكس يسمع هذه الروايات بامتعاض ويحكم أن الكلاب أشرف من الناس . لأنه هل من العدل أن تختلس المرأة أموال زوجها وتدفعها لخليلها لتتمتع بالشهوات الحيوانية ؟ . . .

وكثيراً ما يحاول فوكس اخبار سيده بما ترتكبه زوجته من الموبقات فيدنو منه ويرفع عقيرته بالنباح ويقول بلسانه : ان زوجتك امرأة فاجرة تحب كثيرين وتختلس مالك ولماذا تحتمل تصرفاتها هذه ؟ . . .

ولكن ما أحمق الناس ! لانهم لا يفهمون لغة الكلاب البسيطة وهكذا فان سيده لا يفهم كلامه بل يقول للخادمة : خذي هذا الكلب من هنا لأنه يزعجني بنباحه .

غير انه لم يثأ فوكس مرة أن يترك سيده بل زاد في النباح والعواء حتى أخذ يعطس ويسعل . فقالت اليس أن الكلب مريض واستدعت في اليوم التالي طبيب الكلاب الذي صب في فم فوكس بالقوة شرابا شديد المرارة علمه أن لا يلفظ مرة كلمة أخرى بل قال في نفسه مالي والناس : فليعمهوا في غيهم وضلالهم

ولكن يجب تسمية الاشياء باسمائها . ولماذا يعظم الناس المحبة بالكذب والنفاق والخداع وانك اذا سألت أي كلب عن هذا أجابك أن ذلك ليس حباً والشيطان فقط يعرف ما هو ذلك ! . . .

(عن مجلة روسيا المصورة)